تجلّيات الاختيار في الوجوه والنّظائر القرآنية وجمالياته – دراسة دلاليّة أسلوبيّة للّفظة (إثم) نموذجا.

أسعد حوران العسكر، د. شادي محمود

قسم اللّغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة إدلب

الملخص:

يَدرسُ هذا البحث تجلّيات الاختيار في الوجوه والنّظائر القرآنيّة وما وراءه من جماليات دلاليّة أسلوبيّة، فالبحث ينطلق من تعريف الاختيار والوجوه لغةً واصطلاحاً، ثمّ يعرض مناهج الوجوه والنّظائر من خلال الكتب الّتي أُلّفت، ثمّ يقف البحث وقفةً تأمليّة على أهم جماليات الوجوه والنّظائر، ثم يُختمُ البحث بتطبيق عمليّ من خلال تحليل كلمة (الإثم) في القرآن متعرفينَ إلى أهمّ وجوهها لنثبت مقولة أنّ هذا العلم من أهمّ العلوم الّتي تبيّن مدى دقّة القرآن في اختيار الكلمة.

الكلمات المفتاحيّة: الاختيار، الوجوه والنّظائر، دلاليّة، أسلوبيّة.

The Aesthetics of polesemy in the Holy Quran - Asemantic study"

Pr.Shadi Mahmood, Asad Al-Ascar

Arabic Language Department – College of Arts & Humanities
University of Idlib

Abstract:

This research examines the manifestations of variations in polysemy expressions and their Qur'anic equivalents, exploring the aesthetic and semiotic aspects beyond them. The study begins by defining choice and similarities expressions linguistically and conceptually, followed by an exploration of the methodologies employed in studying similarities expressions and equivalents through relevant literature. The research then contemplates the significant aesthetic qualities of similarities expressions and polysemy. Finally, the study concludes with a practical application through the analysis of the word "sin" in the Qur'an, aiming to highlight the importance of this field of study and demonstrate the Qur'an's meticulous selection of words.

Keywords: choice - Similarities and Polysemy - Semantic - Stylistic.

المقدمة:

إنَّ أهمّ سمة في كتاب الله عزّ وجلّ تمام الدّقّة، وهذه الدّقّة كانت واضحةً للعربيّ في عهد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فلذا لم يستطع أحدٌ أنْ يأتي بمثل القرآن أو أن يشكِكَ في فصاحته أو دقّةِ عباراته، فلمّا انقضى العهدُ الأوّل وضعُفتِ الفصحى نتيجة اختلاط العرب بالعجم، أصبح العلماء يفردون في تفاسيرهم وكتبهم ما يظهر دقة القرآن العظيم.

وإظهار دقّة اختيار القرآن الكريم هو بابٌ من الأبواب الّتي تُظهر إعجاز كتاب الله عزّ وجلّ، بل إنّها تدفع أحيانا إلى الخشوع نتيجة التأمل في الدّقة البديعة في اختيار الكلمة؛ ممّا يجعل المتلقي يحسّ ويشعر بعظمة الله عزّ وجلّ وإحكام كتابه المبين.

وعلم الوجوه والنّظائر هو أحد علوم القرآن الّتي تدلّ على مدى دقّة القرآن في اختيار الكلمة؛ فلذا كان بحثنا محاولة لإظهار دقّة القرآن من خلال دراسة تجلّيات الاختيار في الوجوه والنّظائر وجمالياته.

أهمية البحث: تظهر أهمية هذا البحث في أنّ تأمّل علم الوجوه والنّظائر ودراسته دلاليّة أسلوبيّة يظهر مدى دقّة القرآن في اختيار الكلمات، كما أنّه يبيّن مدى فعاليّة علم الدّلالة والأسلوبيّة في إظهار المكنونات الجماليّة لهذا العلم، كما يعدّ هذا البحثّ منطلقا لتأمل علوم القرآن اللّغوية من خلال الاستفادة من مناهج النّقد الحديثة.

منهج الباحث: البحث قائم على شقين: نظريّ، وتطبيقيّ، ففي الأوّل جرى استعمال منهج وصفيّ في دراسة الأمور النّظرية، وفي الثّاني جرى استعمال المنهج التّحليليّ حيث انطلقنا من الجزء إلى الكلّ بغية إظهار جماليات الاختيار في الوجوه من النّاحية التّطبيقيّة.

الدّراسات السّابقة: تنوّعت الدّراسات الّتي تناولت الوجوه والنّظائر ولكنّ الغالب عليها وصفيّ تتحدث فقط عن تاريخ هذا العلم وأهمّ الكتب المؤلّفة فيه، ولعلّ من أهمّ الكتب التّي تحدّثت عن الوجوه والنّظائر هو كتاب (الوجوه والنّظائر دراسة موازنة) سليمان بن صالح القرعاوي، إذ بحث عن أسباب اختلاف الوجوه بين الكتب غير أنّه لم يدرس جماليات هذا العلم.

صعوبات البحث: من أبرز الصّعوبات الّتي واجهتني في هذا البحث قلّة وجود مراجع تدرس الوجوه والنّظائر من النّاحية الدّلاليّة والأسلوبيّة؛ لأنّ علم الوجوه والنّظائر لم يُدرس فيما أعلمُ من هذه النّاحية، كما أنّي واجهت كثرة الآراء في الوجوه والنّظائر فبعض الدّارسين يرفض الوجوه وبعضهم يقبلها؛ ممّا جعل البحث يمضي في طريق يثبت الوجوه ولا ينكر الرّوابط فيما بينها.

خطّة البحث: خرج البحث على تمهيد وأربعة مطالب وخاتمة. فأمّا الّتمهيد فتحدّث عن العلاقة بين الوجوه والنّظائر والاختيار، ثم تحدّث المطلب الأوّل عن مفهوم الوجوه والنّظائر، ثم بيّن المطلب الثّاني مناهج كتب الوجوه والنّظائر، ثم أفصح المطلب الثّالث عن جماليات الاختيار في الوجوه والنّظائر، ثم خُتم المطلب الرّابع بدراسة دلاليّة أسلوبيّة لكلمة (الإثم) في القرآن الكريم، ثمّ انتهى البحث بخاتمة تذكر أهمّ النّتائج الّتي توصل إليها البحث.

تمهيد:

إنّ أقرب علوم القرآن إلى مفهوم الاختيار علم الوجوه والنّظائر؛ لأنّه علم يُعنى باختيار ظاهر اللّفظ عن المعنى، وهذا العلم الجليل يستحقّ منّا محاولة في إظهار جماله ودقّة أسلوبه لعلّنا نصل إلى نتائج تجعلنا نهتمّ بهذا العلم.

ومن اللّافت للنّظر أنّ الباحثين المعاصرين لمّا تحدّثوا عن الدّلالة تحدّثوا عن التّرادف في القرآن فقط، مثالًا عن أسباب اختيار هذا اللّفظ مكان ذاك اللّفظ ويهملون الوجوه والنّظائر؛ وذلك يعود لقلّة الدّراسات الّتي درست الوجوه والنّظائر مثالًا عن اختيار الألفاظ وتفاضلها فيما بينها؛ ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ بحث التّرادف مشبع تمام الإشباع في كتب التراث؛ إذ معظم العلماء لا بدّ من أن يبدي وجهة نظره سواء أكان مع التّرادف أم ضدّه، هذا بالإضافة إلى أنّ كتب الفروق تتحدّث عن الفروق بين المترادفات فقط، من هنا

نقول: إنّ دراسة علم الوجوه والنّظائر من خلال الأسلوبيّة والدّلالة مجال يحتاج إلى دراسات كثير وأبحاث، وهو مجال خصب يُمثّل الاختيار.

والاختيار كما يقول الرّاغب الأصفهانيّ في تعريفه: "طلب ما هو خير وفعله، وقد يُقال لما يراه الإنسان خيراً"[1]، وهذا قريب من تعريف أبي هلالٍ العسكريّ: "اختيارك الشّيء: أخذك خير ما فيه"[2]، إذاً الاختيار يكون بين أشياء فيها خيريّة، لكنّ هذه الخيريّة متفاوتة، فلذلك الاختيار ينتقي خيرهما، وهذا المصطلح مناسب لاختيار الاسم في القرآن الكريم؛ إذ كلّ أسمائه فيها خيريّة، كما يدلّ على أنّ عمليّة الاختيار عمليّة مرادة تقوم على تقديم شيء على شيء لغايات وحكم يريدها الله عزّ وجلّ.

أخذ مفهوم الاختيار أهميّة كبيرة في النّقد الحديث، وخاصّة لدى الأسلوبيّة، "إذ دأب الأسلوبيّون على رصد أساليب الكتّاب وتفرّدهم واختلافهم، الواحد عن الآخر، من خلال مقولات عدّة، أهمّها الاختيار"[3]، ويعرّف الاختيار عندهم بأنّه: "مفهوم نظريّ يحدّد العمليّات الانتقائيّة المتتالية الّتي يقوم بها المتكلّم في جميع لحظات كلامه، أو بعبارة أصحّ، في كلّ موضع تبادليّ من سلسة الكلام المحكيّة أو المكتوبة"[4]، وأخذ الاختيار أثراً كبيراً لدى الأسلوبيّين، حتّى إنّهم عرّفوا الأسلوب بالاختيار؛ اختيار يقوم به المنشئ بغرض التّعبير عن موقف معيّن.

وهكذا يظهر أنّ الاختيار هو حقل الأسلوب الخِصب الّذي بنت عليه الأسلوبيّة أهمّ مقولاتها النّظريّة والتّطبيقيّة.

المطلب الأول: مفهوم علم الوجوه والنّظائر لغةً واصطلاحاً:

الوجوه والنّظائر لغةً: جاء في معنى **الوجه لغةً** قول ابن دريد: "وجه الكلام السّبيل الّذي تقصدها به، وصرّفت الشّيء عن وجهه أي عن سننه، وكساء موجّه: له وجهان، ويجمع على أوجه ووجوه وأوجه"[5]. وأوضح من ابن دريد ابن فارس حيث قال: "وجه: الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدلّ على مقابلة لشيء، والوجه مستقبل لكلّ شيء، يُقال وجه الرّجل وغيره، وربّما عبّر عن الوجه بالذّات، وتقول وجهي إليك، كقول: واجهت فلانا أواجهه إذا جعلت وجهك تلقاء وجه."[6]وجاء في موسوعة القرآن المتخصّصة في الوجوه والنّظائر:

" ووجوه الكلام في اللّغة: مقاصده ومعانيه."[7] ما تقدّم يظهر أنّ المعنى اللّغويّ للوجوه يحمل شيئاً من الاختيار؛ إذ إنّه يخرج عن سننه المعهودة ويحتمل معاني أخرى، كما أنّه يبيّن أنّ الوجوه تحمل تعدّداً أقلّه وجهان.

وأمّا عن معنى **النّظائر في اللّغة** فورد:" النّظائر الأفاضل والأماثل لاشتباه بعضهم ببعض في الأخلاق والأقوال والأفعال"[8]، وورد أيضاً:" النّظائر جمع نظير وهو المماثل والشّبيه، يُقال: فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء"[9].

نلحظ في المعنى اللّغويّ للنّظير أنّه يحمل المطابقة والمساواة ممّا يجعل المعنى اللّغويّ مناسباً للمعنى الاصطلاحيّ؛ لأنّه ينبغي أن تكون هناك موافقة بين اللّغويّ والاصطلاحيّ.

الوجوه والنّظائر في القرآن اصطلاحاً:

لعلّ أهمّ تعريف للوجوه والنّظائر– والّذي تبنّاه كثير من أهل العلم– تعريف ابن الجوزيّ: "واعلم أنّ معنى الوجوه والنّظائر أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأُريد بكلّ مكان معنى للكلمة غير الآخر، فلفظ كلّ كلمة ذُكِرت في موضع نظير للكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذاً النّظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني."[10]

ولعلّ خاطراً يسأل: لِمَ هذا الازدواج في المصطلح؟! لماذا لم يكن اسمه علم الوجوه فقط؟! والحقيقة أنّ من أجاب عن هذا أحمد مختار فقال: "والّذي يبدو لي أنّ كلّ مشترك لفظيّ[الوجوه والنّظائر] يحمل في داخله ترادفاً؛ فإذا قلنا: إنّ اللّسان في القرآن الكريم على أربعة أوجه: اللّغة والدّعاء والعضو المعروف والثّناء الحسن؛ فمن هذا يتبيّن أنّ له أربعة أوجه وأربعة معانٍ، فهو مشترك لفظيّ، وهو في نفس الوقت يملك عدّة نظائر أو مترادفات، فاللّسان مع اللّغة يكون ترادفاً، وهو مع الدّعاء ترادفاً ثانياً ومع الثّناء الحسن ترادفاً ثالثاً وهكذا... فمن أجل هذا صحّ أن تحمل هذه الكتب اسم الوجوه والنّظائر مشيراً

بالوجوه إلى المعاني المتعدّدة للّفظ و النّظائر الألفاظ المتعدّدة للمعنى"[11]، ورأي أحمد مختار مقبول لا يمكن إنكاره، فالتّرادف موجود في الوجوه والنّظائر بكثرة، لكنّه ليس ملازما له؛ أي قد يكون هناك وجه للكلمة ليس فيه ترادف، وهذا سنظهره في الدراسة التّطبيقيّة.

وبعد معرفة مفهوم الوجوه والنّظائر نستطيع أن نؤوّل الوجوه والنّظائر اختياريا، إذ هناك مستويان: الأوّل: معنى يطلب لفظه المعهود باللّغة، ولفظ يطلب معناه المعهود في اللّغة، أي دلالة تطابق، والوجوه والنّظائر هنا: هي احتيار اللّفظ عن معناه اللّغويّ المتعارف في المعاجم إلى معنى آخر من خلال السّياق، إذاً المعنى الآخر للنّظير ثبّته السّياق، ولذلك لا ينشأ من هذا أيّ لَبس في المعنى؛ لأنّ المعنى محفوظ بالسّياق.

ما تقدّم يظهر لنا عدّة نتائج منها:

1- هناك تقارب بين المعنى اللّغويّ للوجوه والنّظائر والمعنى الاصطلاحيّ له.
2- إنّ التّرادف موجود في الوجوه والنّظائر، ولكنّ الوجوه والنّظائر ليست كلّها ترادفًا
3- إنّ الوجوه والنّظائر تمثّل الاختيار.

المطلب الثّاني: مناهج الكتب المؤلّفة في علم الوجوه والنّظائر:

علم الوجوه والنّظائر علم عريق، بل إنّ بعض أهل العلم يرجعه إلى عصر الصّحابة والتّابعين وينسب كتبه إليهم، " وقد نُسِب كتاب في الوجوه والنّظائر إلى عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنه وكتاب آخر إلى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس،"[12] ولعلّه من المستحسن هنا أن نقف على بعض الكتب وندرسها دراسة موجزة، بغية التعرّف على أهمّ ميّزاتها، لأنّها تمثّل الوجوه والنّظائر عموماً، وأهمّ هذه الكتب:

- **كتاب (الوجوه والنّظائر) لمقاتل بن سليمان (ت150هـ):**
- **كتاب تحصيل نظائر القرآن للحكيم التّرمذيّ (ت 320هـ):**
- **نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر لابن الجوزيّ(597هـ):**

ممّا تقدّم ذكره من الكتب الثّلاثة والّتي تُعدّ ممثّلة للمناهج الّتي اعتمد عليها الوجوه والنّظائر، نجد أنّ الوجوه والنّظائر كانت على ثلاثة مناهج:

الأوّل: منهج قائم على عرض وجوه الكلمة دون عرض العلاقات الّتي تربط بينها ويكون جلّ هدفه الإكثار من وجوه الكلمة، وهذه الكتب تحتاج إلى واسع فهم، وهذا المنهج يمثّله مقاتل بن سليمان.

الثّاني: منهج قائم على أنّه ليس للكلمة سوى وجه واحد، وكلّما ذكر من وجوه للكلمة في الحقيقة داخل ضمن الوجه اللّغويّ وهذا المنهج يمثّله التّرمذيّ.

الثّالث: منهج وسطيّ لا يرفض الوجوه ولا ينكر الرّابط بين المعنى اللّغويّ والوجوه، والحقيقة أنّ من يمثّله هو ابن الجوزيّ.

وبعد عرض هذه الكتب نميل إلى المنهج الثّالث الّذي يمثله ابن الجوزي؛ لأنّه الأكثر تنظيماً ودقّة واستفادة من تراث من سبقه؛ لذلك يمكننا القول بأنّ علم الوجوه والنّظائر بلغ النّضج مع ابن الجوزيّ.

المطلب الثالث: أهميّة علم الوجوه والنّظائر وجماليّاته:

بقدر ما يكون للشّيء من أهميّة وفائدة يكون جميلاً، والباحث في علم الوجوه والنّظائر يجد أنّ هذا العلم يرجع إلى عهد الصّحابة أو التّابعين، أي قبل تدوين علم الحديث وعلوم اللّغة العربيّة، كما يجد أنّ هذا العلم متجدّد، ففي كلّ عصر يأتي من يؤلّف فيه ويبدي رأيه، رغم ذلك يشعر الباحث أنّ هذا العلم بحاجة إلى عناية أكثر وإلى مزيد من البحث؛ لأنّ هذا العلم أُهمِل مقارنة بعلم الحديث وعلوم العربيّة، بل إنّه أُهمِل في علوم القرآن، رغم أنّه أوّل علم ظهر وكان موضوعه القرآن، ونؤكّد هنا أنّه "إذا كان شرف الصّناعة إمّا بموضوعها وإمّا بغرضها ، وإمّا بشدة الحاجة إليها...، فإنّ معرفة الوجوه والنّظائر حازت الشّرف من الجهات الثّلاثة: من جهة الموضوع: لأنّ موضوعها كلام الله تعالى الّذي هو ينبوع كلّ

حكمة، ومعدن كلّ فضيلة، ومن جهة الغرض: لأنّ الغرض من هذه المعرفة هو معرفة مراد الله من كلامه، ولا اعتصام إلّا به للوصول إلى السّعادة في الدّارين، ومن جهة شدّة الحاجة: لأنّ كلّ كمال دينيّ أو دنيويّ عاجل أو آجل مفتقر إلى علوم الشّريعة والمعارف الدينيّة، وهي متوقّفة على العلم بكتاب الله تعالى، ومن العلم بكتاب الله الكريم معرفة الوجوه والنّظائر في الألفاظ القرآنيّة"[13]، يُضاف إلى هذه الأهميّة أمور تجبرنا على العناية به منها:

1- أنّه أحد السّبل المعينة على تدبّر القرآن وفهمه فهماً صحيحاً.

2- أنّه يوضّح المعنى الصّحيح للألفاظ المتعدّدة المعنى، فلا يبقى مجال لأهل الأهواء يروّجون فيه لبدعهم من خلال التّأويلات الباطلة.

3- يُعدّ هذا العلم وجها مهمّاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم، حيث الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أكثر أو أقلّ ولا يوجد ذلك في كلام البشر، وإذا نظر المفسّر البارع المتذوّق لجمال الكلام إلى الوجوه والنّظائر وكيفيّة استخدام القرآن لها، وجد أنّ المعنى للكلمة في موضع ما، لا يمكن أن يعوّض بكلمة أخرى.

4- أنّه علم مهمّ في استنباط أحكام شرعيّة مختلفة تتعلّق بجملة الألفاظ على وجوه متعدّدة.

5- يُعدّ علم الوجوه والنّظائر من أهمّ المصادر التّفسيريّة إذ إنّه يصنّف في قسم تفسير القرآن بالقرآن.

وبعد ما بيّنا بعضاً من فوائد هذا العلم نؤكّد أنّه يحمل جماليّات كثيرة، فالأصل في الكلمات أن تحمل كلّ كلمة معنى تختصّ به، فعندما تحمل الكلمة أكثر من معنى، فإنّها تنثر جمالاً يُحسّ به أهل الذّوق والجمال، وفيما يأتي بعض من جماليّات العدول في الوجوه والنّظائر الّتي ظهرت لنا من خلال تأمّل هذا العلم من خلال تحليل بعض الأمثلة:

1- **جماليّة التّكثيف:** إنّ النّاظر إلى الكلمة الّتي تحمل وجوهاً وإلى الكلمة الّتي لا تحمل وجوهاً، يجد أنّ الّتي تحمل وجوهاً تمتاز بالاختصار ثمّ بزيادة المعنى؛ ذلك أنّ المعنى المحصّل يحقّق أحياناً مجموع المعنيين، أو أنّ المعنى الظّاهر(النّظير) متضمّن في المعنى المستتر(الوجه)، ومثال ذلك كلمة (أذلّة): فما ورد في وجوهها أنّها بمعنى (قلّة العدد) وشاهدها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123]"[14]، والآية في معناها تذكر فضل الله على عباده في معركة بدر وكيف أنّه نصرهم وهم قليلو العدد، لكنّ السّؤال: لمَ استعملت كلمة (أذلّة) بدل (أقلّة)؟! وكيف حُقّق التّكثيف؟ إنّ الله عزّ وجلّ أراد أن يبيّن للمسلمين أنّ درجة قلّة العدد قليلة جدّاً حتّى إنّ النّاظر إلى هذه القلّة يظنّهم أذلّاء، كما أنّه من خلال هذا الاختيار ظهر فضل الله العظيم على عباده، ثمّ وضّحت الحالة النّفسيّة النّاتجة عن قلّة العدد، فانظر إلى جماليّة التّكثيف في هذا الاسم الّذي جمع عدّة معان تحت النّظير (أذلّة).

وكذلك ورد في كتب الوجوه والنّظائر" أنّ (أذلّة) بمعنى التّواضع، كما في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54]"[15]، فهنا استعملت كلمة الذّلّ الدّالّة على التّواضع واللّطف رغم الفارق الشّاسع بين الذّلّ والتّواضع! فمن يتأمّل الآية يجد أنّها موجّهة إلى المجاهدين وطبع المجاهد الخشونة؛ لأنّه تعوّد المعارك وسفك دماء الكفار، فلمّا خاطبه في المعاملة مع أخيه المسلم طلب منه اللّطف وعبّر عن اللّطف بالذلّة، لأنّه يطالبه بالأدنى– اللّطف الزّائد – والّذي هو الذّلّة؛ لأنّه يعلم أنّ المجاهد سيحقّق مع أخيه اللّطف، كما أنّ سبب استخدام (أذلّة) بدل (اللّطف) أيضاً؛ يعود إلى حرمة أذيّة المسلم إذ تعاملك مع المسلم ينبغي أن يكون في قمّة اللّطف والّذي يساوي الذّلّة، وربّما يعود ذلك إلى أنّ من سمات الذّليل التّواضع الزّائد، فكأنّ الله أراد أن يكون المؤمن لطيفاً مع أخيه حتّى يكاد يبدو ذليلاً، رغم أنّ الله لا يريد للمؤمن أن يذلّ لا مع أخيه المؤمن ولا مع غيره، فالإسلام يرفض الذّلّة إلا لله . فانظرْ إلى جماليّة التّكثيف الّتي جمعها علم الوجوه والنّظائر في هذا المثال.

إذاً الكلمة الّتي لها وجوه تختزن تحتها معاني مكثّفة، يكشف فيها الباحث عن هذه المعاني على حسب علمه وتقواه، وهنا يحضرنا قول النّاقد الإنكليزي لا سيل آير كرمبي:"

المعنى الّذي نجده في معاجم اللّغة ما هو إلّا النّواة الّتي تتجمّع حولها طائفة من المعاني الثّانوية، فالنّواة تدلّ على شيء، أمّا المعاني الثّانويّة فتدلّ على النّواحي المتعدّدة المتنوّعة لذلك الشّيء أو الحدث، وكثير من المهارات الأدبيّة عبارة عن إطلاق تلك المعاني الثّانويّة؛ لتؤثّر تأثيرها في الخيال."[16]

ما تقدّم يظهر أنّ سمة التّكثيف أو الاختزان أو الاختصار جماليّة مهمّة وظاهرة في علم الوجوه والنّظائر.

2- **جماليّة الغموض أو التّشويق:** بداية نحن لا نقصد بالغموض الإبهامَ الّذي يعني عدم وضوح الدّلالة، فالقرآن واضح الدّلالة وفهمه الخلف عن السّلف بوضوح، وما وضع علم الوجوه والنّظائر إلا لحفظ المعنى الدّقيق للقرآن كي يكون فهم الخلف كفهم السّلف، فالغموض هنا الموحي بما وراءه من معنى إيحاء تتحقق من خلاله متعة التكشّف، وذلك أنّه يحصل للمتلقي إدهاش ومفاجأة، فالمتلقّي أمام مستويين: الأوّل: المستوى الظّاهر (النّظائر): وفيه يحسّ المتلقّي أنّه أمام إثارة ذهنيّة وأنّ الكلمة تخفي معاني ثانويّة تزيدها جمالاً، أمّا الثّاني: المستوى المستتر(الوجوه): عندما يكشف المتلقّي بطريقة ما عن وجه الكلمة ويربط بين المعنى الوجه والنظير فإنه يحسّ بالمتعة والإفادة، ومثال ذلك كلمة (أُمَّة) فإحدى وجوهها بمعنى (حين) وشاهدها قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45] فالآية تتحدّث عن صاحب يوسف عليه السّلام في السّجن وتعبّر عن تأخّر صاحب يوسف في تذكّر يوسف، فالنّظير(أمّة) والوجه هو (حين)"[17]، والسّؤال ما دلالة استخدام أُمّة وليس حين؟ لأنّ أمّة تشير إلى كثرة المدّة الّتي نسي بها الصّاحب يوسف، وتعبّر عن معاناة يوسف فالأُمّة هي الجماعة، أي الكثرة، فهذا الغموض الظّاهر بداية سرعان ما يكشف عنه الغطاء ونفهم العلاقة بين المعنى الظّاهر والمستور من خلال السّياق، وبذلك نحصل على المتعة والإفادة والتّشويق.

وهنا نكرّر قول ابن الأثير: بـ" أنّ العدول عن صيغة الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصيّة اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الّذي اطّلع على أسرارها وفتّش عن دفائنها، لا تجد ذلك في كلّ كلام، فإنّه من

أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهماً وأغمضها طريقاً"[18]، صحيح أنّ ما قاله ابن الأثير في الصّيغ إلا أنّه يصلح للتّعبير أيضاً عن الاختيار المعجمي أو الوجوه والنّظائر.

3- **جماليّة الاتّساع:** إذا تأمّلنا الوجوه والنّظائر نجد أنّ "اللّفظة المختارة تتعدّى الدّلالة الأولى أو الدّلالة الذّاتية إلى الدّلالة الحافّة، فإذا كانت اللّسانيات قد أقرّت أنّ لكلّ دالٍّ مدلوله، فإنّ الأدب يخرق هذا القانون فيجعل للدّالّ إمكانيّة تعدّد مدلولاته، وهو ما عبّر عنه الأسلوبيّون بمصطلح الاتّساع"[19]، وما ينطبق على الأدب في هذا ينطبق على القرآن؛ لأنّ القرآن جارٍ على سنن العربيّة، ففي الوجوه والنّظائر هناك معنيان: ظاهر ومستتر، وكلاهما مراد، فعند جمع المعنيين وفهم العلاقة بينهما يحصل اتّساع في الفهم، ممّا يجعل المتلقّي يشعر أنّ هذه الكلمة تملك طاقة زائدة تعبّر عن موضوعها، وهي في نفس الوقت آية في الجمال والإقناع، وشاهدنا على هذا كلمة (خوف)؛ فمن وجوهها (العلم) وشاهدها في البقرة قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ [البقرة: 229]"[20]، فالآية تتحدّث عن تعدّد الزّواج وأنّ المسلم إذا علم من نفسه أنّه لن يعدل فيكتفي بواحدة، لكنّ السؤال: لماذا عبّر الله بالخوف بدل العلم، مع أنّ الخوف أمر مستقبليّ لا يُبنى عليه حكم؟! ربّما يعود ذلك إلى جمع المعنيين؛ فالعلم مع الخوف في المستقبل من عدم العدل يمنع التعدّد، فكأنّ الله يريد على أن يعلّمنا أنّ الزّواج بأكثر من واحدة لا ينبغي أن يكون إلّا في رجل عدل يجمع العلم بعدم الخوف من الزّواج بأكثر من واحدة، فالزّواج بأكثر من واحدة مسؤولية تقتضي العدل، فانظر إلى جماليّة التّوسع الّتي ظهرت من خلال كلمة (خفتم).

نخلص ممّا تقدّم إلى أنّ علم الوجوه والنّظائر علمٌ ذو أهميّة في فهم كلام الله العزيز، كما أنّ المتذوّق للعربيّة والمفتّش عن أسرارها يجد في علم الوجوه جمالاً يغلب عليه فيشعر بمدى إعجاز هذا الكتاب الربّانيّ ودقّته في اختيار الكلمات.

المطلب الرابع: دراسة دلاليّة أسلوبيّة لكلمة(الإثم) في القرآن الكريم.

تعتمد الدّراسة على علم الدّلالة وعلم الأسلوبيّة، فالدّراسة قائمة على شقّين:

الأوّل: تأويل المعنى والعلاقة بين الدّالّ والمدلول وتفسيرها قدر الإمكان على حسب مقتضى علم الدّلالة.

أمّا الشّقّ الثّاني: فيهتمّ بالجماليّة الّتي يحقّقها هذا الأسلوب وأثرها في المعنى إذ استفدنا ممّا قالت به الأسلوبيّة.

وتقوم الخطوات العمليّة للدّراسة على عدّة أمور، أهمّها:

1- اعتماد كتاب نزهة الأعين النّواظر لابن الجوزيّ -لأنّ منهجه كان متوسّطاً كما تقدّم- أساساً في جداول تفصيليّة، وهذا الجدول يحوي ما يأتي:

أ- العمود الأوّل النّظير (اللّفظ).

ب- العمود الثّاني: الآية الّتي ورد بها النّظير (السّياق).

ت- العمود الثّالث: الوجه (المعنى).

ث- العمود الرّابع: يبيّن انتقال الدّلالة بين الحسيّة والمعنويّة.

ج- العمود الخامس: العلاقة بين الوجه والمعنى.

2- عرض المعنى اللّغوي للنّظير؛ وذلك لكي نعرف مدى احتواء النّظير في معناه اللّغوي للوجه، وقد أوردنا هنا المعنى اللّغويّ الذي أورده ابن الجوزيّ في مقدّمة ذكره للوجه، ولكنّنا لم نجد ذلك كافياً لفهم العلاقة بين الوجه والنّظير في اللّغة؛ لذا اعتمدنا على معجم مقاييس اللغة لابن فارس في إكمال المعنى اللّغويّ الّذي قال به ابن الجوزي؛ لأنّه معجم لغويّ دلاليّ يحاول أن يؤصّل في كلّ كلمة يتحدّث عنها معنى جامعا، كما يغوص في العلاقات الدّلاليّة بين الكلمات المعبّرة عن معنى الكلمة ممّا يجعل هذا المعجم مناسباً لهذا الميدان.

3- إضاءة على المعنى العامّ من خلال الاستعانة ببعض التّفاسير، وخاصّة كتب أمّات التّفاسير كالطّبريّ وابن كثير والقرطبيّ... إلخ؛ كي نتحرّى المعنى العامّ للآية؛ وكي لا نقول في كلام الله ما ليس فيه، إذ إنّنا نحرص تمام الحرص على

ألّا نخرج بأيّ تحليل دلاليّ أو أسلوبيّ يخالف أو يبتعد عن التّفسير المأثور، وقد اخترنا من التّفاسير العامّة، التّفاسير الّتي تراعي علم الوجوه وتوافق ابن الجوزيّ؛ لكي تكون الرّؤية شاملة لهذا الفنّ على مستوى تفسير المفردات وعلى مستوى التّفسير العامّ.

4- الاستعانة بكتب الفروق اللّغويّة والتّفاسير الّتي تدرس أوجه التّقارب في المعنى بين الوجه والنّظير ككتاب أبي هلال العسكريّ؛ وذلك لمعرفة ما قيل في الكلمة إن كان فيها تقارب؛ لأنّ كثيراً من علاقات الوجوه والنّظائر هي علاقة تقارب في المعنى.

5- التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لسبب اختيار النّظير على الوجه، وهنا يعتمد البحث على الاجتهاد في إظهار جماليّة اختيار النّظير على الوجه.

6- تبيّن علل اختيار الوجه من خلال فهم السّياق والمقام والقرائن اللّفظيّة؛ لأنّ كثيراً من أسباب اختيار العلماء للوجوه ترجع إلى السّياق.

7- الاعتماد على بعض منظّري البلاغة والنّقد في تعليل الاختيار إن أمكن ذلك، وذلك حتّى تقوى حجج الاجتهاد.

م	النّظير	الآية والسورة	الوجه	انتقال الحقل الدّلاليّ	العلاقة بين الوجه والنّظير
1	الإثم	﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: 120]	الزّنى	معنويّ- حسيّ	سببيّة
2	الإثم	﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمًا﴾ [البقرة: 182]	الخطأ	معنويّ-معنويّ	جزئية
3	الإثم	﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾ [المائدة: 62]	الشّرك	معنويّ – معنويّ	كليّة

4	الإثم	﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: 2]	معصية	معنويّ – معنويّ	جزئية
5	الإثم	﴿أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠﴾ [النساء: 20]	الحرام	معنويّ – معنويّ	كليّة
6	الإثم	﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ﴾ [الأعراف: 33]	الخمر	معنويّ –حسيّ	سببيّة

المعنى اللّغويّ للإثم:

جاء في معناه اللّغويّ عند ابن الجوزيّ" الإثم هو الذّنب والوزر في المعصية، ثمّ صار يُستعار فيما يحصل به الإثم، يُقال فلان آثم وأثيم، ويُقال: الأثوم الكذّاب، وناقة آثمة ونوق آثمات أي مبطئات، ويُقال: أثم إذا وقع في الإثم، وتأثّم إذا تحرّج من الإثم وكفّ عنه"[(21)].

وزاد ابن فارس" أثم: الهمزة والثاء والميم تدلّ على أصل واحد، وهو البطء والتّأخّر... وذكر ناس عن الأخفش – ولا أعلم صحّته – أنّ الإثم: الخمر، وعلى ذلك فسّر قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: 33] وأنشد:

شربت الخمر حتّى ضلّ عقلي كذاك الإثم تفعل بالعقول

فإن كان هذا صحيحاً فهو القياس؛ لأنّها توقع صاحبها في الإثم"[(22)].

ممّا تقدّم نجد أنّ ابن الجوزيّ اختصر من كلام ابن فارس رغم الحاجة إلى الزّيادة في كلام ابن فارس وخاصّة في ربط الإثم في الخمر؛ ربّما يعود ذلك إلى أنّ ابن الجوزيّ لم يكن اهتمامه الغوص في الجانب اللّغويّ وإنّما همّه الإشارة إلى ذلك فقط.

الوجه الأوّل للإثم وهو الزّنى: وهو قول الله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾ [الأنعام: 120]

<u>المعنى العامّ للآية</u>: ينقل الطبريّ في تفسيره ": وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ أمّا ظاهره فالزّواني في الحوانيت، وأمّا باطنه فالصّديقة يتّخذها الرّجل سرّاً"[23].

<u>الفروق الدّلاليّة بين الإثم والزّنى</u>: يتحدّث أهل الفروق عن الفرق بين الإثم والخطيئة والفاحشة وما قاربها من كلمات، أمّا الزّنى والإثم فلا يتحدثون عنه في الفروق؛ لأنّها ليست من باب التّرادف أو التّقارب، ولكنّ المتأمّل للأشياء الجامعة بين هاتين الكلمتين يجد أنّ صاحب الزّنى هو صاحب إثم، فالعلاقة بين الإثم والزّنى علاقة سببيّة.

<u>التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لاختيار النّظير بدل الوجه</u>: تظهر الدّقّة في اختيار ظاهر الإثم وباطنه وعدم اختياره ظاهر الزّنى وباطنه؛ لأنّه قضيّة الزّنى إذا تُحدّث عنها في مثل هذا السّياق فإنّ الله يحبّ فيها التّستّر غالباً، لذلك استعمل لفظة الإثم؛ لأنّها أليق خاصّة أنّها موجهة للمسلمين، فالإثم يدلّ هنا على الزّنى، والزّنى عادة الحديث عنه بالسّتر، فالدّافع وراء هذا الاختيار هو التّهذيب، فهذا الخلق المعنويّ ظهر من خلال إظهار لفظ وإرادة لفظ آخر من خلال السّياق.

ويعزّز ما ذكرناه أنّ الله عزّ وجلّ لم يذكر لفظ (الجماع) مُطلقًا في القرآن صراحاً؛ بل استعمل له ألفاظاً مختلفة كالرّفث والتّغشّي واللّباس، وغير ذلك، فعادة القرآن في مثل هذه السّياقات أن يُكنّي ولا يُصرّح.

وربّما يكون السّبب أيضاً في اختيار إثم على زنى هو التّخويف، حيث ذكر نتيجة الزّنى الّذي هو الإثم ليخوّف عباده من هذه الجريمة، فالقرآن عندما يتحدّث عن هذه الجريمة يحذّر من الاقتراب منها ولا يحذّر منها مباشرة؛ لأنّه جلّ وعلا يعلم أنّ غالب الاقتراب من الزّنى يوقع في الزّنى.

أثر السّياق في اختيار الوجه: ما دفع ابن الجوزيّ للقول بهذا الوجه قرينة السّياق اللّغويّ الّذي يبيّن العلاقة بين الزّنى والإثم، وكذلك سياق الحال من خلال الاطّلاع على التّفاسير، كما عند الطّبريّ عندما بيّنا المعنى العامّ.

الوجه الثّاني للإثم فهو الخطأ: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة: 182]

المعنى العامّ للآية: ورد في معنى الآية "ميلاً عن الحقّ خطأ، أو إثماً بأن تعمّد ذلك بالزّيادة على الثّلث أو تخصيص غنيّ مثلاً، فأصلح بينهم: بين الموصي والمُوصى له بالأمر بالعدل، فلا إثم عليه في ذلك، إنّ الله غفور رحيم" [24]

الفروق الدّلاليّة بين النّظير والوجه: إنّ الإثم عند أهل الفروق في القرآن يمتاز بأنّه" فعل قبيح يستوجب الذمّ واللّوم وتنفر منه النّفوس ولا تطمئنّ إليه القلوب، وهو لفظ عامّ يشمل صغائر المعاصي وكبائرها، وغلب استعمالها في الكبائر وفيه تعمّد"[25] وأمّا الخطأ فهو يعني: " الذّنب الصّغير، وأكثر استعمالاتها فيما لا يكون مقصوداً لنفسه، بل يكون القصد سبباً لتولّد ذلك الفعل منه، كمن رمى صيداً فأصاب إنساناً"[26].

التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لاختيار النّظير بدل الوجه: تبرز دقّة الاختيار في أنّ الله أراد أن ينبّه إلى خطورة الأمر وهو هنا الوصيّة عند الموت، فهنا الخطأ من قبل الموصي يكاد يصل إلى الإثم، وفي تعبيره عن الخطأ بالإثم يُشعر بضرورة تحرّي العدل والحذر في الوصيّة من قبل الموصي وحاضر الوصيّة، مع أنّ الحكم النّهائيّ موجّه لحاضر الوصيّة،

فكأنّ الله أراد أن ينبّه حاضر الوصيّة إلى أن الخطأ يكاد يوازي الإثم كما طلب منه الإصلاح.

أثر السّياق في معرفة الوجه: إنّ القرينة اللّفظيّة التّي دلّت على أنّ الإثم يُقصد به الخطأ هو كلمة خوف فالخوف لا يُبنى عليه إثم، وكذلك كلمة إثم الثّانية الّتي جاءت على معنى الوزر، إذ كيف يكون المتأثّم لا وزر عليه؟ ما تقدّم من قرائن دلّ على أنّ المقصود به الخطأ، ولعلّ الذي رجّح (الخطأ) في هذا السّياق أنّ الفاصلة في نهاية الآية (إنّ الله غفور رحيم)، فاللّه غفور ورحيم للمخطئين لأنّه جرى بغير إرادتهم.

الوجه الثّالث للإثم الشّرك: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: 62]

المعنى العامّ للآية: قال السّعديّ في تفسيره " ثمّ استمرّ تعالى يعدّد معايبهم، انتصاراً لقدحهم في عباده المؤمنين، فقال: وترى كثيراً منهم أي: اليهود يسارعون في الإثم والعدوان، أي: يحرصون ويبادرون إلى المعاصي المتعلّقة في حقّ الخالق والعدوان على المخلوقين، وأكلهم السّحت الّذي هو الحرام، فلم يكتف بمجرّد الإخبار أنّهم يفعلون ذلك، حتّى أخبر أنّهم يسارعون فيه، وهذا يدلّ على خبثهم وشرّهم وأنّ أنفسهم مجبولة على حبّ المعاصي والظّلم وهذا وهم يدّعون لأنفسهم المقامات العاليّة، لبئس ما كانوا يعملون وهذا في غاية الذّمّ لهم والقدح فيهم، "[27] فالإثم هنا الشّرك؛ لأنّه متعلّق بحقّ الخالق كما وضّح السّعديّ.

الفروق الدّلاليّة بين النّظير والوجه: إنّ كلمة الإثم والشّرك لا نجد عنهما حديثاً عند أهل الفروق، لكن بينهما تقارب دلاليّ لأنّ الشّرك إثمٌ كبيرٌ، والإثم قد يكون صغيراً وقد يكون كبيراً، أي أنّ الشّرك أعلى من الإثم، بل هو أعلاه لذلك لا يغفر الله أن يُشرك به.

التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لاختيار النّظير بدل الوجه: الآية تتحدّث عن اليهود، وهم لكثرة آثامهم وتسابقهم في الإثم أصبحوا يرون الشّرك مجرّد إثم عاديّ، فاللّه عزّ وجلّ

أراد تصوير مدى استهتارهم بالشّرك حتّى إنّهم رأوه إثماً مجرداً! فانظر إلى دقّة الاختيار، وكيف صور الرّبّ سبحانه عقولهم وقلوبهم المجبولة على الشّرك حتّى غدا بنظرهم إثماً فقط.

أثر السّياق في معرفة الوجه: من يتأمّل سياق الآية يجد أنّ معنى الإثم هو الشّرك بدليل قرينة العطف على العدوان وأكل السّحت، وهذه من الكبائر ويناسبها الشّرك في هذا السّياق.

أمّا الوجه الرّابع فهو المعصية: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: 2]

المعنى العامّ للآية: يقول السّيوطيّ وتعاونوا على البرّ؛ بفعل ما أمرتم به، والتّقوى؛ بفعل ما نهيتم عنه، ولا تعاونوا... على الإثم أي المعاصي، والعدوان: التعدّي في حدود الله، واتّقوا الله أي خافوا عقابه بأن تطيعوه، إنّ الله شديد العقاب؛ لمن خاف عقابه."[28].

الفروق الدّلاليّة بين النّظير والوجه:" إنّ المعصية تعني في اللّغة خلاف الطّاعة .... وأما العصاة الّذين فرّطوا في ارتكاب الذّنوب، وهم أهل الفسق الّذين خلطوا الأعمال الصّالحة بغيرها الفاسدة."[29]، ما تقدّم يظهر أنّ المعصية أقلّ من الإثم.

التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لاختيار النّظير بدل الوجه: تبرز الدّقّة في اختيار كلمة إثم على كلمة معصية رغم أنّ المعصية دون الإثم أنّ الآية موجّهة للمؤمنين وبصيغة الجمع، فأراد الله هنا أن ينبّه إلى خطورة المعصية الجماعيّة فعبّر عنها بالإثم الّذي هو

أعلى درجة من المعصية، فالمعصية الجماعيّة وخاصة إن كان فيها تعاون بين الأفراد ترقى إلى الإثم وتصبح مظهرة والله عزّ وجلّ يحبّ الاستتار في المعاصي.

أثر السّياق في معرفة الوجه: إنّ القرينة الّتي دلّت على أنّ المقصود بالإثم هو المعصية بداية الآية في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)؛ لأنّها موجّهة للمؤمنين، وعادة المؤمن أنّه لا يقع في الإثم بل يقع في المعصية، ولأنّ الإثم كما تقدّم أعلى من المعصية والمؤمن لا يقع في غالب أمره إلا في المعاصي.

الوجه الخامس للإثم بمعنى الحرام: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء: 20]

المعنى العامّ للآية: جاء في التّفسير: "بل متى أردتم استبدال زوج مكان زوج أي: تطليق زوجة وتزوّج أخرى؛ فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج ولكن إذا آتيتم إحداهنّ قنطاراً أي مالاً كثيراً، فلا تأخذوا منه شيئاً بل وفّروه لهنّ ولا تماطلوا بهن، وفي هذه الآية دلالة على عدم تحريم كثرة المهر، مع أنّ الأفضل واللّائق الاقتداء بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في تخفيف المهر، ووجه الدّلالة أنّ الله أخبر عن أمر يقع منهم، ولم ينكره عليهم، فدلّ على عدم تحريمه ولكن قد ينهى عن كثرة الصّداق إذا تضمّن مفسدة دينيّة وعدم مصلحة تقاوم، ثمّ قال: أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً فإنّ هذا لا يحلّ ولو تحيّلتم عليه بأنواع الحيل، فإنّ إثمه واضح."[30]ما تقدّم يدلّ على أنّ الإثم الواضح هو الحرام.

الفرق الدّلاليّ بين النّظير والوجه: يدلّ الحرام" ما يذمّ شرعاً فاعله"[31]، فالحرام أعلى من الإثم بالمجمل؛ لأنّ الإثم يدلّ على صغائر الذّنوب وكبائرها كما تقدّم، أمّا الحرام فهو أعلى الإثم.

التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لاختيار النّظير بدل الوجه: السّؤال هنا لماذا استعمل الإثم بدل الحرام مع أنّ الحرام أعلى من الإثم؟ لعلّ ذلك يعود إلى أنّ سياق الآية يدلّ على أنّ الخطاب موجّه للمؤمن في مسألة النّهي عن أخذ مهر المرأة المطلّقة، والمؤمن يخاف الله كثيراً فلو قيل له: حرام، فإنّه سيخاف كثيراً وربّما يترك حقّه من المرأة، فخُوطب بالإثم لأنّ الإثم عند المؤمن الورع بمنزلة الحرام.

أثر السّياق في معرفة الوجه: ومن الأمور الّتي جعلت الإثم بمنزلة الحرام أنّه عقّب على هذا الفعل بأنّه بهتان وإثم مبين، فمن شدّة سوء هذا الفعل جاوره بكلمتين هما بهتان مبين، ولأنّ الكلمتين المجاورتين للإثم تدلّان على أنّه حرام ناسب أن يعبّر بالإثم عن الحرام.

الوجه السّادس بمعنى الخمر: وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: 33]

المعنى العامّ للآية: يقول القرطبيّ معلّقاً على هذه الآية: يأتي عند المفسّرين بمعنى الخمر"، قال الحسن: الخمر "[32]، ما تقدّم من قول القرطبيّ يظهر لنا أنّ علم الوجوه قد يعتمد على النّقل.

الفروق الدّلاليّة بين النّظير والوجه: إنّ كلمة الخمر تتقارب مع الآثام في أنّ الخمرة سبب للآثام، فسُمّيت بالإثم؛ لشدّة تعلّقها بالإثم، وفي ذلك يقول الشّاعر:

" شربت الإثم حتّى ضلّ عقلي كذاك الإثم تَذهب بالعقول

وسمّي الخمر بالإثم والبغي بالسّكر؛ لحدوثه عنهما "[33]

التّحليل الدّلاليّ والأسلوبيّ لاختيار النّظير بدل الوجه: تتوضّح الدّقّة في اختيار الإثم على الخمر؛ لأنّ الخمر مسبّب للإثم، فكأنّ الله أراد أن يبيّن خطرها المستقبليّ فبيّن النّتيجة حتّى لا يجرؤ الإنسان على شربها، أمّا عندما يعبّر بالخمر قد يذهب ذهن المخاطب

إلى أنّ شربها قد يوقع في الإثم، لكن أنّ يعبّر بالإثم عن الخمر فإنّ ذلك يفيد اليقين بوقوع الإثم.

أثر السّياق في معرفة الوجه: من أهم القرائن اللّفظيّة الّتي تؤيّد تفسير الإثم بالخمر، المتعاطفات الّتي قبلها وبعدها وكذلك الفاصلة في نهاية الآية، فالخمر يرتبط بالفواحش والبغي وهو شراب المشركين وهو الّذي يجعلهم يقولون ما لا يعلمون.

نخلص ممّا تقدم إلى أنّ العلاقة بين المعنى اللّغويّ للنّظير والوجه فيه شيء من التّقارب، فالزنى والخطأ والشّرك والمعصية والحرام والخمر كلّها إثم لا يرضاها الله، كما أنّ أصحابها بطيئون عن الخير وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، فإثم الخطأ، لا يوازي إثم الشّرك، ودواليك، كما أنّ جميع وجوه (إثم) كانت متقاربة، وأنّ الّذي جمع هذا الحقل كان السّياق؛ لأنّه الفيصل في المعرفة، كما أنّ هذه الوجوه تتقارب مع النّظير وتبتعد في الدّرجة كما تقترب الذّرّة من النّواة.

الخاتمة والنتائج:

نخلص ممّا سبق إلى أن علم الوجوه والنّظائر من العلوم التّفسيرية الدّقيقة الّتي تظهر دقّة القرآن وإحكامه كما أنّها مجالٌ خِصب للدّراسات التّحليلية التي تبيّن جماليات العدول القرآني في اختيار الكلمات يضاف إلى ذلك أنّ البحث أظهر عدة نتائج من أهمها:

1- علم الوجوه والنّظائر علم واضح مشوق؛ لأنّ النّظير نعرفه من خلال المعنى اللّغوي المعروف في المعاجم، والوجه نعرفه من خلال السّياق غالبا.

2- يحقق علم الوجوه والنظائر إيجازا عجيبا، فأحيانا نستطيع أن نجمع بين الوجه والنظير بعد فهم العلاقة بينهما.

3- اقتراب كثير من المفسرين الأوائل من الوجوه والنّظائر وابتعاد كثير من المفسرين المتأخرين عن علم الوجوه والنظائر؛ ممّا يدلّ على دقّة التّفاسير لدى الأوائل.

4- إنّ للسّياق دوراً كبّاراً في معرفة الوجوه كما مرّ معنا في تحليل كلمة إثم، وذلك لم نعرفه لولا السّياق، فالسّياق هو الّذي يكشف معاني الكلمة المعجميّة المتناثرة.

5- إنّ هناك علاقات بلاغيّة بين الوجه والنّظير كالمجاز وعلاقاته؛ فعند وقوفنا على تحليل كلمة إثم بمعنى الزنى كانت العلاقة بين الوجه والنظير فيما سيكون.

6- علم الوجوه والنّظائر علم واضح ومشوّق ولا يوجد فيه غموض؛ لأنّ النّظير يتوضّح من المعنى اللّغويّ الأساس، والوجه يتوضّح من خلال السياق

7- إنّ الوجه له معنى دقيق يظهره السّياق، أمّا النّظير فمعنى عامّ، وحقيقة جعل النّظير هو المعنى الظّاهر يعطي مِيزة، وهي أنّ هذا المعنى يجعل القرآن صالحاً لكلّ زمان ومكان وظرف، ويسقط على كلّ واقع في الماضي والحاضر والمستقبل؛ ففي قوله: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: 120] الإثم هنا الزّنى، وأُطلق الإثم على الزّنا في هذه الآية ليتناسب مع كلّ معصية فيها إثم... فناسب النّظير كلّ حدث أو زمن مشابه ولم يربطه بالزّنى مع أنّ المقصود في هذا الظّرف هو الزّنى حسب تفسير ابن الجوزي، ما تقدم يجعلنا نقول إنّ النظائر توسع التعاميم لتجعل القرآن مناسب لكلّ زمان.

8- هناك نوعان من التّقارب: تقارب لغويّ، وتقارب سياقيّ؛ فالتقارب اللغوي يكون عندما تكون هذه الكلمات مشهورة، كقولنا: إن الإثم متقارب مع المعصية. أما التقارب السّياقيّ، فهو ابتداء لا نلحظه لأن معنى الكلمتين المعجمي لا يشعر بوجود التقارب، كما مرّ معنا في كلمتي إثم وزنى، فهما غير متقاربتان ابتداء، لكنهما اقتربتا بعد فهم السّياق، أو بعبارة أخرى: هناك ترادف ظاهريّ سهل الملاحظة بفضل تقارب الجذر اللّغويّ، وهناك ترادف مخفيّ يحقّقه السّياق.

التوثيق والهوامش:

[1] الرّاغب الأصفهاني (الحسين بن محمّد ت 502هـ): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم – الدّار الشّاميّة، دمشق – بيروت، ط، 1412هـ، ص301.

[2] أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله ت: نحو 395هـ): **الفروق اللّغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنّشر والتّوزيع، د.ت، القاهرة، مصر، ط1، ص285.

[3] محمد البلوحي: "**الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة**"، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد95، 2004م، ص63.

[4] أميل يعقوب وآخرون: **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص22.

(5) ابن دريد (محمد بن الحسن ت 321هـ): **جمهرة اللّغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت ط1، ١٩٨٧م، مادة(وجه) ،498/1.

(6) ابن فارس (أحمد بن فارس ت:395هـ): **مقاييس اللّغة**، تحقيق، عبد السّلام هارون، دار الفكر،1979م، مادة(وجه)، 6/89-88.

(7)مجموعة من الأساتذة والعلماء المختصين: **الموسوعة القرآنيّة المتخصصة**، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، مصر،2002م، 1/ 602.

(8) الزّبيدي (محمّد مرتضى ت): **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، طبع كأجزاء من عام 1965م إلى عام 2001م، مادة(نظر)،14/ 252.

(9) ابن دريد: جمهرة اللّغة، مادة(نظر)،763/2.

(10) أبو الفرج ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ): **نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر**، تحقيق محمد عبد الكريم الرّاضي، مؤسسة الرّسالة، بيروت ،1984م، ص83.

(11) يُنظَرُ: أحمد مختار عمر: **علم الدّلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.،149.

(12) ابن الجوزي: نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر، ص82. ملحوظة: للاستزادة من الكتب التي درست الوجوه والنّظائر ينظر مقدمة تحقيق كتاب نزهة الأعين النّواظر لابن الجوزي، ص53-55.

(13) الرّاغب الأصفهاني (الحسين بن محمد ت 512هـ): **مقدمة جامع التّفاسير**، تحقيق حسن أحمد فرحات، دار الدعوة، 184م، ص91.

(14) ابن الجوزي: نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر، ص301.

(15) المصدر نفسه، ص301.

(16) لاسيل أير كرامبي: **قواعد النّقد الأدبي**، ترجمة محمد عوض محمد، سلسة المعارف العامة، القاهرة، ط1، 1936م، ص40.

(17) ابن الجوزي: نزهة الأعين النّواظر، ص529.

(18) ابن الأثير: المثل السّائر، ص12.

(19) توفيق الزّيدي: **أثر اللّسانيات في النّقد الحديث من خلال بعض نماذجه**، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1984م، ص87.

(20) ابن الجوزي: نزهة الأعين النّواظر، ص279.

(21) ابن الجوزي: نزهة الأعين النّواظر، ص147.

(22) ابن فارس: مقاييس اللّغة، ص60-61. مادة (أثم)

(23) الطّبري (أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري ت 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، 518/9.

(24) الجلالين (جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلي ت ٨٦٤هـ وجلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي ت ٩١١هـ): **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة، د.ت، ص37.

(25) محمد داود: **معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم**، دار غريب، القاهرة،2008 م، ص37.

(26) المصدر نفسه، ص40.

(27) السّعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت ١٣٧٦هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.، ص237.

(28) يُنظَرُ: تفسير الجلالين،135.

(29) عبد الرّب بن نواب آل نواب: **أساليب دعوة العصاة**، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة السادسة والثلاثون – العدد (١٢٣) ١٤٢٤هـ، ص150.

(30) السّعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص172.

(31) السّيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكرت ٩١١هـ): **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم**، تحقيق، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م، ص63.

(32) القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري ت671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م،200/7.

(33) الماوردي (علي بن محمد 450هـ): **النّكت والعيون**، تحقيق السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،220/2.

فهرس المصادر والمراجع:

- أحمد مختار عمر: **علم الدّلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
- ابن الأثير(نصر الله بن محمد ت637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1420هـ.
- أميل يعقوب وآخرون: **قاموس المصطلحات اللّغوية والأدبيّة**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- توفيق الزّيدي: **أثر اللّسانيات في النّقد الحديث من خلال بعض نماذجه**، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ط1، 1984م.
- الجلالين (جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلي (ت 864هـ) وجلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي (ت 911هـ): **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة، د.ط، د.ت.
- ابن دريد (محمد بن الحسن ت 321هـ): **جمهرة اللّغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت ط1، 1987م.
- الرّاغب الأصفهاني (الحسين بن محمّد ت 502هـ):
- **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم – الدّار الشّاميّة، دمشق – بيروت، ط1، 1412هـ.
- **مقدمة جامع التّفاسير**، تحقيق حسن أحمد فرحات، دار الدعوة، 184م.

- الزّبيدي (محمّد مرتضى ت): **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، طبع كأجزاء من عام 1965م إلى عام 2001م.
- السّعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت ١٣٧٦هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م.
- السّيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكرت ٩١١هـ): **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم**، تحقيق، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ - 2004 م.
- الطّبري (أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري ت 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1422 هـ - 2001م.
- عبد الرّب بن نواب آل نواب: **أساليب دعوة العصاة**، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة السادسة والثلاثون - العدد (123) 1424هـ.
- ابن فارس (أحمد بن فارس ت:395هـ): **مقاييس اللّغة**، تحقيق، عبد السّلام هارون، دار الفكر،1979م.
- أبو الفرج ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ): **نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر**، تحقيق محمد عبد الكريم الرّاضي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1 ،1984م.
- القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري ت671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م.
- لاسيل أير كرامبي: **قواعد النّقد الأدبي**، ترجمة محمد عوض محمد، سلسة المعارف العامة، القاهرة، ط1، 1936م.
- الماوردي (علي بن محمد 450هـ): **النّكت والعيون**، تحقيق السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مجموعة من الأساتذة والعلماء المختصون: **الموسوعة القرآنيّة المتخصصة**، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، مصر، ط1، 2002م.
- محمد البلوحي: "**الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة**"، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد95، 2004م.

- محمد داود: **معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم**، دار غريب، القاهرة، ط1، 2008م.
- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله ت: نحو 395هـ): **الفروق اللّغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، د.ت.